



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

خصائص النظام الإقتصادي في الإسلام



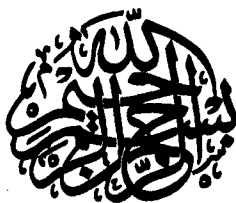
د. زيد بن محمد الرماني

NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة





www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن لكل نظام اقتصادي خصائصه وسماته التي تميزه عن غيره، والتي تركز على أصول وقواعد أساسية تحفظ للنظام الاقتصادي أسلوبه وشخصيته .

فالاقتصاد الرأسمالي لنظامه خصائصه وأدواته المميّزة له، والاقتصاد الاشتراكي لنظامه خصائصه وأدواته، وهذه الخصائص تقوم على فلسفة عامة يؤمن بها أصحاب النظام الرأسمالي وأصحاب النظام الاشتراكي، بغض النظر عن صحة هذه القواعد والأسس التي يقوم عليها كل نظام .

والاقتصاد الإسلامي فرع من فروع المعرفة الإسلامية، ولهذا، فخصائصه التي تميزه لن تختلف عن خصائص الإسلام نفسه، إذ هو منتم إلى الإسلام، والإسلام في علومه يصبغها بطبيعته وميزته وسماته؛ وهذا لا يمنع أن يكون للنظام الاقتصادي في الإسلام خصائصه الذاتية التي يستقل بها عن غيره، كما أن الخصائص التي يذكرها باحثو الاقتصاد الإسلامي كثرة وقلة، هي مجرد اجتهاد وفهم لمحاولة تمييز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من الاقتصادات الأخرى .

ولقد جاء اختيار هذا الموضوع للأسباب التالية :

١- خلط كثير من الكتاب والمؤلفين والباحثين بين الخصائص

الذاتية والعامّة والقواعد .

٢- ندرة الكتابات عن هذا الموضوع، وما هو موجود فهو قليل نادر، يحتاج إلى مزيد بحث ودراسة .

٣- إبراز خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام، التي تميزه عن الاقتصاد أو النظام الرأسمالي والاشتراكي .
هذه هي الأسباب الأساسية ...

الدراسات السابقة :

الذين كتبوا في هذا الموضوع أحد فريقين :

١- فريق موسّع : وهذا الفريق ذكر للنظام الاقتصادي في الإسلام خصائص عديدة، منها ماهي خصائص عامة، ومنها ماهي خصائص ذاتية، ومنها ما ليس من الخصائص .. ومن أمثلة هذا الفريق :

(أ) د. محمود بابللي وكتابه «الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية» وكتابه «خصائص الاقتصاد الإسلامي وضوابطه الأخلاقية» .

(ب) د. ابراهيم الطحاوي وكتابه «الاقتصاد الإسلامي» .

(ج) أ. فكري نعمان وكتابه «النظرية الاقتصادية في الإسلام» .

(د) د. حسن أبويحيى وكتابه «الاقتصاد في القرآن والسنة» .

٢- فريق مضيق : وهذا الفريق حصر خصائص النظام

الاقتصادي في الإسلام في خصائص معينة، دون أن يستند في ذلك

إلى ضابط معين أو معيار واضح، ومن أمثلة هذا الفريق:
اهداء من شبكة الألوكة
(أ) د. حسن العناني وكتابه «خصائص إسلامية في الاقتصاد».

(ب) الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية وكتاب «الخصائص المميزة للاقتصاد الإسلامي».

ويلاحظ أن هذين الفريقين غالباً ما ينقلون خصائص الإسلام، ويطبقونها على الاقتصاد، من حيث إن الاقتصاد الإسلامي جزء لا ينفصل عن الإسلام، وهذا اتجاه جيد؛ ولكن أليس هناك خصائص يستقل بها الاقتصاد الإسلامي في نظامه؟..

هدف البحث:

معرفة الخصائص الذاتية المميزة للنظام الاقتصادي في الإسلام والخصائص العامة، ومدى تعلق النظام الاقتصادي في الإسلام بها، ومعرفة آراء الباحثين حول هذا الموضوع، وصولاً إلى خصائص معينة للنظام الاقتصادي في الإسلام.

خطة البحث:

قسمت بحثي على النحو التالي:
مقدمة - تمهيد - ثلاثة مباحث - خاتمة.
ففي المقدمة - تناولت أهمية البحث وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وهدفه، وخطة البحث.
وفي التمهيد - تناولت التعريف بمصطلحات البحث، ونقطة الخطأ في تفكيرنا الاقتصادي.

أمّا المباحث فهي كالآتي :
المبحث الأول : قواعد الاقتصاد الإسلامي ، وتناولت فيه :

القاعدة الأولى : قاعدة العقيدة .

القاعدة الثانية : قاعدة الأخلاق .

القاعدة الثالثة : قاعدة الثواب والعقاب .

القاعدة الرابعة : قاعدة الحلال والحرام .

المبحث الثاني : الخصائص الأصلية للنظام الاقتصادي الإسلامي ،
ومنها :

الخاصية الأولى : خاصية الجمع بين الثبات والتطور .

الخاصية الثانية : خاصية الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة .

الخاصية الثالثة : خاصية الجمع بين المادة والروح .

الخاصية الرابعة : خاصية الوفرة ...

المبحث الثالث : الخصائص العامة للنظام الاقتصادي الإسلامي ،
ومنها :

الخاصية الأولى : خاصية الواقعية .

الخاصية الثانية : خاصية الإنسانية .

الخاصية الثالثة : خاصية الشمول .

الخاصية الرابعة : خاصية الاعتراف ببعض المفاهيم العلمية .

الخاتمة : تحدثت فيه عن الاقتصاد الإسلامي في رأي بعض
العلماء الأجانب .

وفي الخاتمة : ذكرت أهم النتائج المتوصل إليها ...

ومن ثم ثبت المصادر والمراجع، ثم الفهرس العام...

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



منهج البحث :

يعتمد البحث على الجمع بين الاستقراء والاستنباط، ومن ثم الاستدلال، استقراء ما كُتِبَ في هذا الموضوع، واستنباط الخصائص الأصلية والخصائص العامة، ثم الاستدلال على كل خصيصة بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي أو أقوال العلماء أو آراء الباحثين والمؤلفين، مع ضرب المثال والمقارنة بالنظم الاقتصادية الأخرى إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

هذا وأرجو من الله أن أكون - بهذا البحث - قد اسهمت في التوصل إلى وضع تصور لخصائص النظام الاقتصادي الإسلامي، وأن أكون قد أضفت إلى المكتبة الإسلامية التي مازالت في حاجة إلى دراسات شاملة ومفصلة في هذا الموضوع؛ وما هذا البحث إلا جهد شخصي قابل للصواب والخطأ، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني وحسبي أنني اجتهدت، وأسأل الله العفو والغفران.

زيد محمد الرماني

عضو المكتب الدائم لليونسيف

الرياض



التعريف بالمصطلحات

- من القضايا الأساسية للتعرف على الأشياء قول السابقين :
- (أ) حددوا الألفاظ قبل أن تستعملوها .
- (ب) الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

أولاً : خصائص :

هذا المصطلح كثر فيه الخلط، فنجد الكتابات في موضوع خصائص الاقتصاد الإسلامي تستخدم مصطلحات عدة مثل :

دعائم، مقومات، ركائز، قواعد، أسس، خصائص، سمات، مرتكزات، أركان، مبادئ، أحكام، مؤسسات، مميزات، .. وفي هذا خلط بين أمور ثلاثة :

(أ) ماهو مؤسسة .

(ب) ماهو قاعدة .

(ج) ماهو خاصية .

لذلك يمكننا أن نصف تلك المصطلحات إلى مجموعات ثلاث :

- المجموعة الأولى: مؤسسات. ويدخل تحت هذا المصطلح: مصطلحات دعائم، مقومات، أركان، مرتكزات، ركائز.
- المجموعة الثانية: قواعد. ويدخل تحت هذا المصطلح: مصطلحات أحكام، أسس، مبادئ.

المجموعة الثالثة : خصائص. ويدخل تحت هذا المصطلح:

www.alukah.net

مصطلحات مميزة، سمات، ميزات.

فبالنسبة للمجموعة الأولى : مؤسسة النظام الاقتصادي

الإسلامي، والتي منها:

١- الملكية المزدوجة (الخاصة والعامة).

٢- الحرية الاقتصادية المقيدة.

٣- التكافل الاجتماعي...

فليست داخلية في نطاق بحثنا.

وأما بالنسبة للمجموعة الثانية : قواعد الاقتصاد الإسلامي،

فنتناولها في المبحث الأول.

وأما المجموعة الثالثة : خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي،

فنتحدث عنها في المبحثين الثاني والثالث.

وبعد ذلك أقول :

الخصائص : في اللغة : (خصَّ) الشيء يخصُّ خصوصاً : كان

خاصاً. ج (خواص). اختصَّ فلان بالشيء : انفرد.

(الخاصية) صفةٌ لاتنفك عن الشيء وتميّزه عن غيره.

(الخصوصية) خصوصية الشيء : خاصيته.

(الخصيصة) الصفة التي تميّز الشيء وتحدّده. ج (خصائص)^(١).

والخصائص، هنا نوعان :

(١) مجمع اللغة العربية - المعجم الوجيز - مصر - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ص ١٩٨.

١- خصائص أصيلة (ذاتية) يستقل بها النظام الاقتصادي الإسلامي، ولا يشترك معه غيره.

٢- خصائص عامة (مشتركة) يشترك مع النظام الاقتصادي الإسلامي غيره، ولكنها تكون فيه أعمق وأشمل وأكثر وضوحاً...

ثانياً: النظام الاقتصادي الإسلامي :

(أ) النظام : هو الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره، والنظام هو الترتيب والاتساق. يقال نظام الأمر، أي قوامه وعماده، ونظام الأمر طريقته، وجمع نظام : نظم وأنظمة^(١).

والمتصفح لكتب اللغة يرى بأن النظام يطلق على مايلي :

١- على الاستقامة.

٢- النهج غير المختلف.

٣- الضم والتأليف مع الاتساق.

ففي القاموس المحيط : النظم التأليف وضم شئ إلى شئ آخر ونظم اللؤلؤ ألفه وجمعه^(٢).

وفي المصباح المنير : نظمت الخرز نظماً من باب ضرب جعلته في سلك واحد وهو النظام بالكسر، ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد أي غير مختلف^(٣).

(ب) النظام الاقتصادي : ورد بشأنه العديد من التعاريف التي تتفق

(١) مجموعة مؤلفين « المعجم الوسيط » باب نظم ..

(٢) الفيروز آبادي « القاموس المحيط » باب الميم فصل النون.

(٣) الفيومي « المصباح المنير » - المكتبة الحديثة - القاهرة دون تاريخ ص ٦١٢.

مع مضمون واحد بالرغم من احتمال اختلافها، واقتصر على تعريف النظام الاقتصادي ككل يتكون من مجموعة هياكل تتحرك إلى غرض معين في إطار قانوني وسياسي يتفق مع هذا الغرض، ووفق مستوى معين من الفن الانتاجي»^(١).

(ج) النظام الاقتصادي الإسلامي :

«هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن والسنة والتي تلائم البيئة التي نقطنها والعصر الذي نعيش فيه باعتبار أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان»^(٢).

ثالثاً : خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي :

«ماتفرد به النظام الاقتصادي الإسلامي وليس له نظير عند أية مدرسة اقتصادية.. وتسمى هذه الخصائص الذاتية أو تميز به النظام الاقتصادي الإسلامي وله نظير عند المدارس الاقتصادية، ولكنها فيه أعمق وأشمل.. وتسمى هذه بالخصائص العامة»^(٣).

إذا تبين هذا، فإنه ينبغي الإشارة إلى قضية هامة، وهي نقطة الخطأ في تفكيرنا الاقتصادي. فما هي؟..

(١) د. إبراهيم دسوقي أباظة «الاقتصاد الإسلامي» - دار لسان العرب - لبنان - دون تاريخ ص ٢٠.

(٢) د. محمد عبدالله العربي - في محاضرة عن الاقتصاد الإسلامي ألقاها بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة الأزهر، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر - الموسم الثقافي الثاني للمحاضرات العامة ص ٢١.

(٣) د. عيسى عبده - الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج - دار الاعتصام - القاهرة الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ ص ٣٣.

نقطة الخطأ في تفكيرنا الاقتصادي

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة



من أبرز الأخطاء التي تظهر من خلال مناهجنا في البحث والدراسة والتفكير أننا نحاول أن نضع نظاماً اقتصادياً لأنفسنا من خلال الأسس الاقتصادية التي يقوم عليها الاقتصاد المعاصر الذي نشأ في ظل ظروف اجتماعية ونفسية واقتصادية أدت إليه، وقد نسمح لأنفسنا بإدخال تعديلات طفيفة على هذا النظام أو ترقيعه ظاهراً بما يقنعنا بشخصيته المستقلة، ولو تعمقنا قليلاً فيما طرحناه من بديل لوجدنا أننا قد أدخلنا تعديلاً على الشكل، واحتفظنا بالأسس الذي يقوم عليها النظام، وتكون النتيجة هي عملية ترقيع لاتسمن ولا تغني من جوع.

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن كل نظام من النظم القائمة هو جزء من المجتمع الذي نشأ فيه، وأن النظام الاقتصادي الذي يثبت نجاحه وجدارته في مجتمع من المجتمعات قد لا ينجح في مجتمع آخر، لاختلاف الظروف في المجتمع الأول عن المجتمع الثاني.. ولهذا فإننا نلاحظ أن الذين يتحمسون للنظام الفردي الذي يجدون صورته في العالم الغربي، أو الذين يتحمسون للنظام الاشتراكي الذي يجدون صورته في المعسكر الشرقي يجهلون على وجه التأكيد أن هذه النظم إذا صلحت في تلك المجتمعات لأسباب شتى، فهي لن تصلح في مجتمعات أخرى مغايرة لها في حياتها الاجتماعية وظروفها الاقتصادية والسياسية.

ومن هنا ندرك أن من واجب علماء الاقتصاد في بلادنا أن يتخلوا عن عقدة آدم سميث وكارل ماركس، وأن يتعدوا عن الأسس التي قامت عليها النظم الفردية أو الاشتراكية، وأن يضعوا

شبكة
الألوكة
alukah.net

لمجتمعنا أسساً جديدة لنظام اقتصادي إسلامي، ينسجم، مع عقيدتنا، ويتوافق مع نفسياتنا وواقعنا الاجتماعي، ويتلاءم مع ظروفنا الاقتصادية والسياسية التي نعيش فيها الآن.

ومن الخطأ الفادح أن نعتقد أن النظم الاقتصادية القائمة فردية أو اشتراكية هي القدر الذي يجب علينا أن نختاره، ومن ثم فعلينا أن نقلب أبصارنا لنختار إحدى التجريبتين، ولو أننا فعلنا ذلك فالفشل الذريع هو المصير الذي ينتظرنا، فنحن أمة لها كياناتها وشخصياتها ونحن مجتمع له معتقداته وظروفه وتقاليده، وقدرتنا على التفكير في مصالحنا لا تقل عن قدرة غيرنا على التفكير في مصالحهم، ومن العبث أن نحى رفات آدم سميث أو كارل ماركس لنسألهما عن واقعنا الاقتصادي والنظام الأمثل الذي يجب علينا أن نختاره لأنفسنا، ومن الخطأ أن نتلمس النصيحة^(١) من الخبراء الذين يسعدهم أن نتبنى السياسة الاقتصادية التي تحمي مصالحهم وامتيازاتهم.

ومن هنا فإنني أطالب بإلحاح أن يكون لنا نظام اقتصادي متميز في مصادره، وفي أحكامه، وفي أهدافه، وفي خصائصه عن النظم القائمة، يستمد منهجه من تعاليمنا الإسلامية، ومقاصد ديننا الحنيف^(٢).

(١) وهذا لاينافي أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها..

(٢) ينظر : أبحاث في الاقتصاد الإسلامي - د. محمد فاروق النبهان - مؤسسة الرسالة - بيروت -

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ص ٧٤ - ٧٦.

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة



المبحث الأول

قواعد الاقتصاد الإسلامي

ويشتمل على :

القاعدة الأولى : قاعدة العقيدة

القاعدة الثانية : قاعدة الأخلاق

القاعدة الثالثة : قاعدة الثواب والعقاب

القاعدة الرابعة : قاعدة الحلال والحرام

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net



قواعد الاقتصاد الإسلامي

القواعد : في اللغة :

معنى القاعدة في اللغة : الأساس وهي تُجمع على قواعد وهي : أسس الشئ وأصوله، حسيّاً كان ذلك الشئ كقواعد البيت، أو معنوياً كقواعد الدين أي دعائمه. وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وقال سبحانه وتعالى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]. فالقاعدة في هاتين الآيتين الكريميتين بمعنى الأساس وهو ما يرفع عليه البنيان ..

وقال الزجاج : القواعد أساطين البناء التي تعمد^(١).

قواعد الاقتصاد الإسلامي :

هي القواعد التي يتركز عليها الاقتصاد الإسلامي بحيث تجعله اقتصاداً متميزاً عن غيره في طبيعته ووسائله وأهدافه^(٢).

ولأهمية هذه القواعد التي هي مدار موضوعنا يقول الدكتور شوقي دنيا « وبدون أن نفهم جلياً هذه القواعد والقيم الإسلامية الحاكمة، فإن أي بحث في الاقتصاد الإسلامي هو ضرب من العبث، لا ينتج أي ثمرة بل قد ينتج ثمرات مرّة ضارة من التخبط والتشويش وسوء الفهم^(٣) ».

(١) ينظر : (١) المفردات في غريب القرآن - الراغب الاصفهاني - طبعة الحلبي مصر ١٣٨١ هـ ص ٤٠٩ . (ب) تاج العروس - الزبيدي - مكتبة الحياة - بيروت - دون تاريخ - ج ٢ / ٤٧٣ .

(٢) د. شوقي دنيا - النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي - مكتبة الخريجي الرياض ١٤٠٤ هـ ص ٤٨ .

(٣) د. شوقي دنيا - نفس المرجع - ص ٤٩ .

الاقتصاد الإسلامي يركز على قيم وقواعد إسلامية تجعل منه اقتصاداً متميزاً عن غيره في طبيعته ووسائله وأهدافه.

وفيما يلي نعرض لعدد من القواعد بشكل موجز ومختصر، والتي منها تتفرع العديد من القيم والقواعد الأساسية:

القاعدة الأولى : قاعدة العقيدة (التوحيد).

القاعدة الثانية : قاعدة الأخلاق .

القاعدة الثالثة : قاعدة الثواب والعقاب .

القاعدة الرابعة : قاعدة الحلال والحرام .

القاعدة الأولى : قاعدة العقيدة :

إن لكل نظام اقتصادي عقيدة يركز عليها في قيام أركانه وتحديد أهدافه^(١).

فالاقتصاد الرأسمالي له عقيدته وقيمه التي قام عليها واتخذ هذا الطابع المميز^(٢).

والاقتصاد الاشتراكي يقوم هو الآخر على عقيدة وضعية فلسفية شاملة لشتى شؤون الحياة، كما يزعم أرباب هذا الاقتصاد^(٣).

أما الاقتصاد الإسلامي فهو اقتصاد عقائدي.

يقول الدكتور مصطفى الهمشري: «الاقتصاد الإسلامي نابع

(١) ينظر : (١) الاقتصاد الإسلامي - د. منذر حف - دار القلم - الكويت ١٣٩٩هـ ص ١٥ .

(ب) الاقتصاد الإسلامي مفاهيم ومرتكزات - محمد صقر - المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي - ١٤٠٠هـ - جدة ص ٣٠-٣٤ .

(٢) Max weber, The protestant Ethich and the spirit of capitalism, London, 1930.

(٣) د. شوقي دينار - مرجع سابق - ص ٤٨ .

من العقيدة التي تجعل من الإيمان بالله وتقواه عاملاً من عوامل الانتاج والربح وتحقيق البركة وليس الألف في حسابان رجال الاقتصاد مثل هذا التصور...»^(١).

لذا، فإن الاقتصاد الإسلامي لا يمكن أن يقوم على توجيه لا يتفق مع العقيدة التي تحكمه؛ وهذا يبرز ارتباط الاقتصاد الإسلامي بالعقيدة، يقول الدكتور محمود بابللي في ذلك: «وعلى هذا فإن الاقتصاد الإسلامي يرتبط بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً من نوع التبعية، ولا يحل له الخروج عنها، وتكون نتائج هذا الاقتصاد منسجمة مع توجيهات هذه العقيدة ومكيفة بها...»^(٢).

وربُّ سائل يسأل : وماثمة ارتباط النشاط الاقتصادي بالعقيدة أو بالطابع التعبدية؟ يجيب الدكتور عبدالهادي النجار على ذلك في كتابه «الإسلام والاقتصاد» فيقول: «يعتبر الطابع التعبدية للنشاط الاقتصادي في الإسلام تطبيقاً لمبدأ عام، وهو أن عمل المسلم اقتصادياً كان أو غير ذلك يمكن أن يصير عبادة يثاب عليها المسلم إذا قصد بعمله وجه الله وابتغى مرضاته...»^(٣).

ودلالة على ذلك، فإن النشاط الاقتصادي في الإسلام لا يهدف إلى نفع مادي فقط كأي نشاط اقتصادي وضعي، بل إن ذلك وسيلة لغاية إعمار الأرض وتهيتها للحياة الإنسانية.

وبعد هذا، قد نتساءل ما أهمية هذه القاعدة «قاعدة العقيدة»؟

- (١) د. مصطفى الهمشري - النظام الاقتصادي في الإسلام - دار العلوم الرياض ١٤٠٥ هـ ص ١٢.
- (٢) د. محمود بابللي - الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية - دار الكتاب اللبناني بيروت. ١٩٨٠ م ص ١١٣.
- (٣) د. عبدالهادي النجار - الإسلام والاقتصاد - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - سلسلة عالم المعرفة - ١٤٠٣ هـ ص ١٤.

إهـ يجيب الدكتور شوقي دنيا على تساؤلنا فيقول : « إن أول أمر يميّز المسلم عما عداه في شتى تصرفاته وسلوكياته والتي منها سلوكياته الاقتصادية هو ما يتصف به من عقيدة التوحيد - توحيد نقي خالص شامل ... »^(١).

تأمل أخي القارئ معنا هذه الآيات :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (٣) ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

وقال سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [سورة نوح] .

واقراً أخي الآية ١١٢ من سورة النحل، والآيات ١٥-١٧ من سورة سبأ ... وغير هذا من الآيات الكريمة .

أقول بعد هذا، أين الاقتصاد الوضعي من هذه الآيات وهذه القيم والقواعد الإسلامية التي تربط الفرد بأخيه، وتربط الفرد بالدنيا والآخرة، وتربط الفرد بالثواب والعقاب ...؟؟

(١) د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص ٤٩ ..

أليس فتح البركات بطرق متعددة مورداً هاماً من موارد الربح ومصدراً من مصادر الكسب والرزق؟! www.alukah.net
أخي القارئ اسمع معي هذه الاحصاءات والأرقام والتقارير عن الاقتصاد الوضعي.

يقول فرانسيس مورلايه وجوزيف كولينز في كتابهما «صناعة الجوع»: «إن كمية الأسمدة المستخدمة في مروج الولايات المتحدة وملاعب الجولف تعادل كل السماد الذي تستخدمه الهند لانتاج الغذاء»^(١).

ويذكر الدكتور اسماعيل صبري عبدالله في كتابه «نحو نظام اقتصادي عالمي جديد»: «إن هناك ٣٠ مليوناً يعيشون في فقر مطلق في أمريكا في أواخر الستينات»^(٢). فكيف بعددهم اليوم؟
وفي دراسة أجرتها كلية التجارة بجامعة هارفارد تقول: «إن ٦٥٪ على الأقل من الفواكه والخضروات المنتجة للتصدير في أمريكا الوسطى تلقى في القمامة...»^(٣).

اسمع إلى مايقوله فرانكلين برل في كتابه «الجوع أقصر طريق إلى يوم القيامة» «لدى الأمريكيين ١٠٠ مليون كلب وقط تأكل القطط، ثلث السمك المملب جميعه، كما أن في الهند ٥٠ مليون قرد، بالإضافة إلى عدد من الأبقار يقارب عدد الناس فيها...»^(٤).

(١) فرانسيس مورلايه وجوزيف كولينز - صناعة الجوع (خرافة الندرة) - ترجمة : أحمد حسان -

عالم المعرفة - الكويت - ١٤٠٣هـ ص ١٢ .

(٢) د. اسماعيل صبري عبدالله - نحو نظام اقتصادي عالمي جديد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٧٦م ص ١٤٩ .

(٣) فرانسيس مورلايه وجوزيف كولينز - مرجع سابق - ص ٢٩٩ .

(٤) فرانكلين برل - الجوع أقصر طريق إلى يوم القيامة - ترجمة حسني عايش محمود برهوم - دار القلم - بيروت - ١٩٨٢م ص ٥٤ .

وغير هذا، من الدراسات والإحصاءات والنقول من كتب
www.alukah.net الغربيين ودراساتهم وإحصاءاتهم.

وربما يقال ماعلاقة هذه الاحصاءات والنقول والدراسات بما
نحن بصددده؟.

أقول : أليس من المجدي أن نشبع حاجات الإنسان وأن يهتم
بالإنسان الذي كرمه الله على جميع الخلق؟؛ فقد وجدنا العالم الغربي
ينساق إلى اشباع حاجات القطط والكلاب والقروود والحيوانات،
ويهمل الإنسان وحاجاته.

أما نحن المسلمين فإن الإسلام قد وضع لنا قواعد وقيماً إسلامية
منبثقة من العقيدة الإسلامية ميزتنا عن غيرنا، وأوصتنا بالإنسان أولاً
ثم بغيره من المخلوقات.

هنا أقف لأقرر أن هذا الأمر – عقيدة التوحيد – يمثل الركيزة
الأم التي يرتكز عليها النشاط الاقتصادي للمسلم.
وأضرب لذلك أمثلة:

(أ) مسألة الملكية ، والتملك : وهذه المسألة تمثل أهم محور
يدور حوله النشاط الاقتصادي؛ وفي ظل عقيدة التوحيد، فإن المسلم
يؤمن بأن المالك الحقيقي لكل شئ في الكون هو الله. قال الله تعالى :
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٤٩].. قال سبحانه
وتعالى : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وقال
سبحانه وتعالى : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

أما في ظل الاقتصاد الوضعي وعقيدته، فإن الفرد يرى أنه هو
المالك لما تحت يديه على سبيل الحقيقة، وليست هناك ملكية أخرى

(ب) مسألة الإنفاق والتوزيع : في ظل عقيدة التوحيد، فإن المسلم يقول كما قال سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وأما في ظل الاقتصاد الوضعي وعقيدته فإن الفرد يقول كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] (٢).

وهكذا نرى تباين المواقف قد امتد ليشمل شتى أوجه النشاط الاقتصادي على المستوى الإنتاجي والإنفاقي والتوزيعي وغير ذلك. ومصدر ذلك الأول هو عقيدة التوحيد وما أحدثته من تأثير جذري على مسألة الملكية؛ بل وعلى التصور الكلي للحياة لدى المسلم، حيث إنه يؤمن بأنه عبد الخالق الكون ومالك الملك جل شأنه...

(١) د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص ٥٠.

(٢) د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص ٥٠.

الأسس العقائدية^(١) التي يقوم عليها

إهداء من شبكة الألوكة النظام الاقتصادي الإسلامي

الأساس الأول: (الاستخلاف)

أن الإنسان بوجه عام مستخلف من الله في هذه الأرض
لعمارتها واستثمار خيراتها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].. وقال سبحانه وتعالى:
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

الأساس الثاني: (التسخير)

أن الأرض خاصة والكون ومافيه عامة مسخر للإنسان ومذل له
ليتمكن من تحقيق هذا الاستخلاف. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥].. وقال سبحانه
وتعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]

الأساس الثالث: (الانتفاع)

أن تسخير الأرض والكون للإنسان واستخلاف الله له في
الأرض يقتضيان انتفاع الإنسان بما خلق الله في الكون واستثماره لما

(١) ينظر: (١) نظام الإسلام - الاقتصاد - محمد المبارك - دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ص ١٩-٢٧.

(ب) مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي - د. سعاد إبراهيم صالح دار الضياء - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص ٤٣-٥٠.

في الأرض من خيرات وثمرات. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا

وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. www.alukah.net

الأساس الرابع : (الوسائلية)

أن النشاط الاقتصادي عملاً وانتاجاً واستثماراً واستهلاكاً ليس غاية في ذاته بل هو وسيلة إلى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

الأساس الخامس (العمومية)

أن استخلاف الله للإنسان في الأرض عام في البشر، لا يختص به فريق، فالناس كلهم عباد الله .

الأساس السادس : (المكانة)

أن ما يقتنيه الإنسان نتيجة لكسبه من مال لا يعطي لصاحبه امتيازاً خاصاً، كما لا يلحق به فقدان المال أو الفقر غضاضة .

الأساس السابع : (المسؤولية)

يتحمل كل إنسان نتيجة عمله ونشاطه وهو المسؤول عنه مسؤولية دنيوية ومسؤولية أخروية. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] .. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴿ [الزلزلة: الجديد] ٨، ٧ .

اسمع أخي هذه القصة عن التربية العقائدية عند النظام الاشتراكي، « جاءت طفلة إلى مدرستها ذات صباح، وقالت لها

بفخر: «إن قطننا أنجبت ست هريرات، وهي كلها شيوعية!» تأثرت المدرسة بكلام التلميذة، ودعت مفتش التعليم ليأتي ويرى بنفسه التربية العقائدية الجيدة التي يحصل عليها التلاميذ، وحين حضر المفتش بعد أسبوع، طلبت المدرسة من التلميذة أن تحكي للمفتش قصة قطتها وهريراتها فقالت: إن القطه وضعت ست هريرات، وهي كلها ديمقراطية» فصاحت المدرسة - بدهشة - في وجه التلميذة وذكرتها أنها قالت لها قبل أسبوع إن هريراتها كلها شيوعية، وسألتها لماذا تقول - الآن - إن هذه الهريرات ديمقراطية؟! فأجابت التلميذة «إن الهريرات قد فتحن عيونهن الآن»^(١).

ومن هذا يتبين لنا أن الإنسان في ظل العقيدة الإسلامية هو أمانة وهو رسالة، وهو خلافة، وهو تعمير وهو عمل وانتاج وهو في النهاية مطالب بكل ذلك ومحاسب عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر... كما أنه يتبين لنا وجود بون شاسع وفرق كبير بين مباحث علم الاقتصاد في ظل الإسلام، وبين مباحثه في ظل النظم الوضعية^(٢).

(١) وحيد الدين خان - سقوط الماركسية - رابطة الجامعة الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ص (١٤-١٥).

(٢) للاستزادة ينظر في ذلك:

(أ) الاقتصاد الإسلامي - د. حسن الشاذلي - دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٩٩ هـ - ص (١٩-٢٦) ..

(ب) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة - يوسف كمال - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ١٤٠٧ هـ ص (١٥-٥٩).

(ج) أبحاث في الاقتصاد الإسلامي - د. محمد فاروق النبهان - ص ٢٠.

(د) النظام الاقتصادي في الإسلام - د. أحمد العسال - د. فتحي عبد الكريم - مكتبة وهبة - عابدين - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ص ١٨.

(هـ) اقتصادنا - محمد باقر الصدر - دار التعارف - بيروت - ١٤٠١ هـ - ص ٣١١.

القاعدة الثانية :قاعدة الأخلاق

علم الأخلاق هو جملة القواعد التي ترسم لنا طريق السلوك الحميد، وتحدد لنا بواعثه وأهدافه، وأما الخلق فهو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصالح، أو إلى اختيار ما هو شر وجحود بيسر وسهولة، والخلق هو صفة النفس وسجيتها، وهو أمر معنوي، وأما السلوك فهو أسلوب الأعمال ونهجها وعادتها.. يقول الدكتور حمزة الجميعي الدموهي في كتابه «الاقتصاد في الإسلام» : «إن تجرد الناس من مكارم الأخلاق، ومن المثل العليا، ومن القيم الإنسانية مُجرد الحياة الاقتصادية من الرفاهية الإنسانية ومن السعادة الحقيقية، بل ومن الأمن والسلام، لأن ضياع الأخلاق ضياع للثروة وانهايار للقوة إن عاجلاً أو آجلاً، سواء كان على المستوى الفردي أو الجماعي أو الدولي..»^(١).

وتقول الدكتورة سعاد صالح : «لاتن فصل النظرية الإسلامية في الاقتصاد عن الجانب الأخلاقي سواء من حيث الوسائل والنظريات أو من حيث المقاصد والأهداف، ولهذا فإن تدعيم المبادئ الأخلاقية يعتبر من أهم المقاصد الشرعية المعترف بها...»^(٢).

من الأسس والقيم الأخلاقية :

١- التزام الصدق والأمانة وحظر الغش : قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٥٨] وفي الحديث (من غشنا فليس منا) . ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه

(١) حمزة الجميعي الدموهي - الاقتصاد في الإسلام - دار الأنصار - عابدين - الطبعة الأولى -

١٣٩٩هـ ص ١٧٦ .

(٢) د. سعاد صالح - مرجع سابق - ص ٥١ .

في إحدى خطبه «الصدق أمانة، والكذب خيانة.....»..

٢- حسن المطالبة : قال تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم﴾ [البقرة: ٢٨٠]..

٣- حسن الوفاء : قال الله تعالى : ﴿وأوفوا الكيل إذا كتتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ [الإسراء: ٣٥].. وفي الحديث « من ابتاع طعاماً، فلا يبعه حتى يستوفيه».

٤- عدم مضارة الغير : قال الله تعالى ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة: ١٩٠]..

وفي الحديث «لا ضرر ولا ضرار»^(١).

كما وإن هناك شروطاً أخلاقية، راعاها الإسلام في أحكامه المتعلقة بالنشاط الاقتصادي والمعاملات المالية ومنها:

(أ) أن يكون العمل نفسه مشروعاً لا محرماً.

(ب) ألا يكون في العمل إضرار بالغير^(٢).

ومن قصص ظلم الرأسماليين التي جمعها وفصلها كارل ماركس في كتابه «رأس المال»، أسوق هذه القصة:

«نشرت صحف لندن اليومية في الأسبوع الأخير من يونيو سنة ١٨٦٢م خبراً مثيراً بعنوان «وفاة بسبب كثرة العمل». وكان هذا الخبر يتعلق بفتاة تبلغ العشرين من عمرها، وتسمى ماري آن واكلي، التي كانت تصنع القلائس النسائية وكانت تعمل في مصنع مشهور للملابس الجاهزة، وكانت امرأة تحمل اسم (إيليزيه) وهي التي تستغل

(١) د. سعاد صالح - مرجع سابق - ص (٥١-٥٧).

(٢) د. محمد المبارك - مرجع سابق - ص ٢٨.

هذه الفتاة، فكانت ماري تعمل نحو ست عشرة ساعة ونصف ساعة يومياً في الأيام العادية، ونحو عشرين ساعة عند اقتراب الأعياد والمواسم، وكان استخدام الشاي والقهوة يساعد قوتها المتهاكة على الاستمرار في العمل، وكان الموسم في عنفوانه وكان على المصنع أن يجهز الملابس الفاخرة لبنات الأثرياء اللواتي يحتفلن بمناسبة مجيء أميرة ويلز الجديدة، وعملت ماري لمدة ست وعشرين ساعة ونصف ساعة متواصلة، وكان معها ٦٠ فتاة أخرى، وكان ثلاثون من هؤلاء يعملن في حجرة واحدة، وهكذا كانت كل فتاة تحصل على ثلث قدم مكعب من الهواء. وكانت الفتيات تقضي الليالي في سراديب ضيقة، قسّموها بواسطة قطع خشبية لإيجاد أماكن النوم بها؛ وكان هذا المصنع واحداً من أفضل مصانع القلائس في لندن، وقد أصيبت ماري بمرض يوم الجمعة، وفارقت الحياة يوم الأحد التالي، وقال الطبيب الذي عاينها: إن ماري ماتت من جراء العمل الزائد في حجرة مكتظة بالناس، وبسبب النوم في مكان ضيق ومظلم، ولكن هيئة المحلفين قضت بأنها ماتت بالصرع، مع ملاحظة أن موتها يمكن أن يكون قد تعجل، بسبب العمل في حجرة مكتظة والعمل الزائد...!!^(١).

من هنا، يتضح أن الأخلاق في الإسلام لاتنفصل عن التعامل، أو المعاملات المالية والتجارية، ولايستطيع أحد أن ينكر أثر الأخلاق على التعامل^(٢).

(١) وحيد الدين خان - مرجع سابق - ص ٣٨ ..

(٢) للاستزادة ينظر في ذلك :

(١) الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية - د. محمود بابلي - ص (١٠٧ - ١٠٨).

(ب) الاقتصاد الإسلامي - د. حسن الشاذلي - ص (٢٧ - ٣٠).

القاعدة الثالثة : قاعدة الثواب والعقاب

إهداء من شبكة الألوكة
قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٨) [سورة الزلزلة].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ولا يكن المحسن والمسيء
عندك بمنزلة واحدة سواء، فإن في ذلك ترهيداً لأهل الإحسان في
الإحسان، ما ألزم نفسه... »^(١). إذ المسيء ألزم نفسه استحقاق
العقاب، والمحسن ألزم نفسه استحقاق الكرامة والثواب.

يقول الدكتور شوقي دنيا : « المسلم يستهدف من أعماله
الاقتصادية وغيرها نيل أكبر قدر ممكن من الثواب في الآخرة الذي
يتحقق عن طريق السير على منهج الله تعالى وطبقاً لشريعته... »^(٢).

ومعنى ذلك أن ثواب الآخرة - ذلك الهدف النهائي للمسلم
لا يتنافى مع نشاط الإنسان في الدنيا والاستفادة بها، بل هو في
الحقيقة متوقف عليه. قال الله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧].

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧)
[سورة النحل] ..

= (ج) أبحاث في الاقتصاد الإسلامي - د. محمد فاروق النبهان - ص ٢٠.

(د) الاقتصاد في الإسلام - حمزة الجيمعي الدموهي - ص (١٧٦ - ١٨٣).

(هـ) نظام الإسلام - الاقتصاد - محمد المبارك - ص (٢٧ - ٢٩).

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه - نهج البلاغة - شرح الأستاذ محمد عبده دار البلاغة -

بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ص ٦٠٤.

(٢) د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص ٥٦.

ويضيف الدكتور شوقي دنيا قائلاً «... وأما غير المسلم، فيهدف إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من الربح إن كان منتجاً، وإن كان مستهلكاً فإنه يهدف إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح...»^(١). فالهدف النهائي اذن هو الربح أو الإرباح «المنفعة»، قال تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤].

إن المتعة واللذة والنفع هي أمور دنيوية، والثواب والعقاب في نظر غير المسلم هو موضوع دنيوي فقط؛ ومن ثم فكل ما يجلب له سروراً وبهجة ومتعة في الدنيا فهو مطلوبه ومستهدفه بغض النظر عن أي اعتبار آخر..

يشتمل القرآن الكريم على آيات عديدة تصور لنا حب الإنسان في الوصول إلى معرفة مقدار المكافأة التي يحصل عليها إن اجتهد؛ وهذا ليس عيباً في الإنسان.. يقول الله تعالى ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٩]. وجاء في السنة النبوية «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له» (أخرجه أبوداود في سننه).. وهذا خير حافظ للإنسان أن يعمر الأرض ويبحث عن خيراتها وكنوزها^(٢)..

(١) د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص ٥٧.

(٢) للاستزادة ينظر في ذلك:

(أ) مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي - د. حمد الجندل - شركة العيكان - الرياض ١٤٠٦ هـ.

- ج ٢/ ٦٢ - ٦٨ ..

(ب) النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي - د. شوقي دنيا - ص (٥٦-٥٧) ..

القاعدة الرابعة: قاعدة الحلال والحرام

قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. الله سبحانه وتعالى أحل للإنسان كل الطيبات حرصاً على مصلحته ومصلحة الجماعة، وحرم عليه كل الخبائث منعاً لأي ضرر يصيبه أو يصيب غيره.

يقول الدكتور أحمد النجار: «وكما تتدخل قاعدة «الحلال والحرام» في المنع أو الإباحة كذلك تتدخل في توجيه النشاط الاقتصادي، لأن قاعدة الحلال والحرام تضع في اعتبارها مصلحة المجتمع الإسلامي.. وتضع في اعتبارها كذلك مفهوماً خاصاً للعائد، فليس العائد منحصراً في كسب مادي وإنما يمتد إلى مافوق ذلك بكثير.. كما تضع في اعتبارها كذلك مفهوماً خاصاً بالضرر أو الخسارة فليست الخسارة في ضوء قاعدة الحلال والحرام منحصرة في الخسارة المادية، ولكنها تمتد إلى كل ما يصيب المجتمع الإسلامي بالضرر أو يمس العقيدة أو الأخلاق..»^(١).

ويعجبني في هذا الصدد مقاله الأستاذ محمد باقر الصدر^(٢) في كتابه «اقتصادنا» حيث يقول: «إن تعبري «الحلال والحرام» في الإسلام تجسديان للقيم والمثل التي يؤمن بها الإسلام، لأن قضية الحلال والحرام في الإسلام تمتد إلى جميع الأنشطة الإنسانية، وألوان السلوك: سلوك الحاكم والمحكوم، وسلوك البائع والمشتري، وسلوك المستأجر والأجير، وسلوك العامل والمتعطل.. فكل وحدة من وحدات هذا السلوك هي إما حرام وإما حلال، وبالتالي هي إما عدل وإما ظلم،

(١) د. أحمد النجار - الأصالة والمعاصرة - الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية - القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥م - ص ١٧.

(٢) محمد باقر الصدر - مرجع سابق - ص ٣٨٣.

لأن الإسلام إن كان يشتمل على نص يمنع عن سلوك معين سلبى أو إيجابى فهذا السلوك حرام، وإلا فهو حلال...» www.alukah.net
ونضرب لذلك أمثلة^(١):

١- الغذاء:

(أ) الغذاء الحلال : قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] وقال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْغِيَاةِ﴾ [المائدة: ٩٦].
(ب) الغذاء الحرام : قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ...﴾ [المائدة: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].
هكذا يهتم الإسلام بالغذاء كونه أول وأهم حق للإنسان فيبين له الحلال منه الذي يفيد ويمكنه من الاحتفاظ بحياته.. كما يبين له الحرام منه الذي يعرضه للمرض ويفقده الذاكرة ويقعده عن العمل ويضره ويضر معه الآخرين إذا أسرف واعتدى..

٢- الملبس:

(أ) الملبس الحلال : قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].. وفي الحديث «كلوا واشربوا جديدا»

(١) ينظر في ذلك للاستزادة :

(أ) حمزة الحمصي الديموي - مرجع سابق - ص (١٥٩ - ١٧٠).

(ب) أبوالأعلى المودودي - أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة - الدار السعودية جدة

١٣٩١ هـ ص (١٣١ - ١٣٢).

والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة».

(ب) (الملبس الحرام): حرم الله على الرجال لبس الحرير ولبس خاتم الذهب، وحرم الله التشبه: تشبه الرجال بالنساء أو النساء بالرجال، ومن ذلك التشبه في اللباس؛ جاء في الحديث «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال».

٣- المسكن :

(أ) المسكن الحلال : من حق كل إنسان مسكن يحميه . قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل: ٨٠] .
(ب) الحرام : أن تنتهك حرمة المساكن . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النور: ٢٧] .

٤- العمل :

(أ) من العمل ماهو حلال: يجب القيام به . قال الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ [فصلت: ٤٦] .. وقال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [سورة الكهف: ٣٠] .

(ب) ومن العمل ماهو حرام : نهى الله عنه . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [هود: ٨٥] .. وقال الله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٨] [سورة الزلزلة] .

لا أريد أن أسترسل في بيان الحلال والحرام في كل شيء، فما من شيء إلا وله نوعان مختلفان أو جانبان متباينان، وعلى ذلك كانت قاعدة الحلال والحرام واسعة وعميقة..

جاء في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير، قول الرسول ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشابها لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، الا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه...».

هذا في الإسلام، بينما نجد الاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي يهدفان إلى أشباع جميع حاجات الإنسان المادية فقط دون قيد ولا شرط ودون مراعاة لنتائجها على سلامة الجسم والروح، ودون اعتبار لتأثيرها في نشاطه المادي والفكري، ودون حساب لمصيره، ودون إدراك لخطرها على المجتمع.

«... في أحد التقارير الصادرة عن أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي سابقاً بلغ عدد مدمني الخمر ٤٠ مليوناً في عام ١٩٨٠م، وأن الخمر تقتل مليون شخص كل عام، وأن مرضى الخمر بلغ ١٧ مليوناً، وأن الخمرة سبب في ٨٥٪ من جرائم القتل والاعتصاب وأعمال السرقة وأنه ما بين كل ستة أطفال يولد معته أو مصاب بالعتاهة، سببها إدمان الخمر... وأخيراً يشير التقرير إلى أن العائد من بيع الخمر يصل إلى ٤٥ مليار روبل سنوياً (أي ٥٦ مليار دولار)، بينما يصل حجم الخسائر الاقتصادية السنوية بسبب إدمان الخمر إلى ١٨٠ مليار روبل (أي ٢٢٥ مليار دولار)...»^(١).

وتحت موضوع «٧٠٠ مليون جنيه سنوياً خسارة بريطانيا بسبب

(١) بيت التمويل الكويتي - مجلة النور - العدد العشرون - السنة الثانية - الكويت شعبان

١٤٠٥هـ ص (٣٩-٤١).

الخمر» نشرت جريدة المسلمون هذا الخبر قائلة:

«وصلت خسائر بريطانيا السنوية إلى ٧٠٠ مليون جنيه استرليني بسبب إدمان المشروبات الكحولية؛ قال تورمان فولر وزير الدولة البريطاني لشؤون التوظيف: إن تعاطي البريطانيين لهذه المشروبات يسبب الكثير من الأمراض الجسدية والاجتماعية والحوادث، وأكد أنها تضعف من أداء المواطنين لعملهم، وأنها تسبب خسارة للدولة للكثير من الأموال...»^(١).

هذه بعض القواعد والقيم الإسلامية، التي يركز عليها الاقتصاد الإسلامي، ومنها يتضح لنا مدى تأثيرها في حياة المسلم الاقتصادية. ويمكن تفهم وجهة النظر الاقتصادية عند المسلم، في كونه مشدوداً إلى غاية عليا هي نيل ثواب الله ورضوانه.. وليس كما هو الحال في الاقتصاد الوضعي الذي أصبح هدفه على حد تعبير المفكر الفرنسي روجيه جارودي: «مجرد تشغيل الآلة لنتج هذه الآلة ماقيمتها ملايين الدولارات من أسلحة الدمار، ثم تحول المجتمع إلى مجتمع استهلاكي يهدف إلى إيجاد حاجات ثم إلى اشباعها، وبالتالي فقد أصبح الفرد يعيش معيشة حيوان، كل همه اشباع حاجاته»^(٢).

ومن قبل جارودي بمئات السنين صاغها القرآن الكريم صياغة معجزة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢] مع العلم أن المتعة في حد ذاتها غير مذمومة. ولكنها تزدم عندما تصبح هي الغاية، فالمتعة مجرد المتعة ليس إلا تنقل الإنسان إلى الحيوانية، فالحيوان يأكل لمجرد الأكل والامتلاء...

(١) جريدة الشرق الأوسط - الجمعة ٢٥ رجب ١٤٠٩ هـ - العدد ٣٧٤٨. الصفحة الأخيرة..

(٢) نقلا عن د. شوقي دنيا - مرجع سابق - ص(٥٨).

المبحث الثاني الخصائص الأصيلة للنظام الاقتصادي الإسلامي

- الخاصية الأولى : خاصية الجمع بين الثبات والتطور.
- الخاصية الثانية : خاصية الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة.
- الخاصية الثالثة : خاصية الجمع بين المادة والروح.
- الخاصية الرابعة : خاصية الوفرة.

www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة



المقصود بالخصائص الأصلية (الذاتية): هي التي تكون متميزة في النظام الاقتصادي الإسلامي، وخاصة به، ولا توجد في غيره من النظم الاقتصادية الأخرى..

الخاصية الأولى: خاصية الجمع بين الثبات والتطور:

«إن مهمة الثبات هو ضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا تمضي شاردة على غير هدى.. مهمته وجود ميزان ثابت يرجع إليه الإنسان بكل مايعرض له من تطورات، وبكل مايجد في حياته من ملابسات وظروف وارتباطات فيزنها بهذا الميزان الثابت ليرى أنها قريبة أو بعيدة من الحق والصواب، ومن ثم ليظل في الدائرة المأمونة لايشرد إلى التيه... قيمة الثبات وجود مقوم للفكر الإنساني، مقوم منضبط بذاته فلايتأرجح في الشهوات والمتأثرات، وإذا لم يكن هذا الضابط بذاته فلاينضبط شئ إطلاقاً... إنها ضرورة من ضرورات النفس البشرية أن تتحرك داخل إطار ثابت...»^(١).

إن الثبات يضمن للحياة الإسلامية مزية التناسق مع النظام الكوني العام، وبقية شر الفساد الذي يصيب الكون كله لو اتبع أهواء البشر بلا ضابط ولاقاعدة ثابتة لا تتأرجح مع الأهواء، هو الذي يبث

(١) ينظر: (أ) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - سيد قطب - دار الشروق بيروت - الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ - ص ٨٨ ومابعدها..

(ب) ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية - د. محمد شوقي الفنجري - دار ثقيف - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ص ١٨ ومابعدها..

الطمأنينة في الضمير المسلم إلى ثبات الإطار الذي تتحرك فيه حياته، فيشعر أن حركته إلى الأمام نامية مطردة النمو، إنه في النهاية الذي يضمن للمسلم في المجتمع الإسلامي مبادئ ثابتة يتحاكم إليها هو وحاكمه على السواء»^(١).

والثبات بهذه الكيفية لا يعارض التطور إذ إنه إذا استقرت المجتمعات الإسلامية وثبتت فإنه يمكن للحرية والنمو الطبيعي في الأنظمة والأوضاع أن تتطور فلا تجمد في قالب واحد، ولا تنفلت من كل ضابط، ولعل هذه الخاصية هي التي ضمنت للمجتمع الإسلامي تماسكه وقوته.

يقول الأستاذ فكري نعمات: «الإسلام قادر على قيادة الحياة وتنظيمها ضمن أطرها الحية دائماً.. فالاقتصاد الإسلامي تمثله أحكام الإسلام في الثروة وهذه الأحكام تشمل على قسمين من العناصر: أحدهما: العناصر الثابتة وهي الأحكام الواردة في الكتاب والسنة فيما يتصل بالحياة الاقتصادية.

أما الآخر فهي العناصر المتحركة وهي التي تستحدث على ضوء طبيعة المرحلة في كل ظرف من المؤثرات الإسلامية العامة التي تدخل ضمن نطاق العناصر الثابتة...»^(٢).

إن مرجع الاقتصاد الإسلامي ومصدره هو الكتاب والسنة سواء كان:

(أ) في صورة مبادئ وأصول اقتصادية مثل قوله تعالى ﴿ولا

(١) محمد أسد - الإسلام على مفترق الطرق - دار الجهاد - دار الاعتصام مصر - دون تاريخ ص ١٠٩-١١٢..

(٢) فكري نعمان - النظرية الاقتصادية في الإسلام - المكتب الإسلامي بيروت دار القلم دبي - الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ص ١٥٧..

شبكة
www.alukah.net
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴿ [البقرة: ١٨٨] . ومثل قوله تعالى
﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وقول الرسول عليه

الصلاة والسلام «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (أخرجه الحاكم في المستدرک) .. وقوله ﷺ أيضاً «الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار» (أخرجه ابن ماجه في السنن) ..

(ب) أو في صورة تطبيقات اجتهادية لأصول الإسلام استنبطها العلماء المجتهدون واستقرؤوها من نطاق الشريعة وروحها الكتاب والسنة، وذلك كاعتبار عمر بن الخطاب رضي الله الأراضى المفتوحة بالشام والعراق في حكم الغنائم فلم يوزعها بل جعلها وقفاً وحولها من ملكية خاصة إلى ملكية عامة للمسلمين جميعاً...»^(١).

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، والاقتصاد الإسلامي - تبعاً لذلك - لا يأبى الاقتباس من غيره وذلك فيما لا يتعارض مع خصائصه الذاتية وهذا الاقتباس لا يمكن أن يكون خبط عشواء وإنما هو مشروط بتأكد صلاحه وثبوت نفعه، وكذلك ضرورة توافقه مع المصلحة الشرعية، والاقتصاد الإسلامي ثري في مادته، والحاجة اليوم ماسة إلى اقتباس بعض الأساليب الحديثة في البحث الاقتصادي وذلك كالتفريعات الجديدة التي نتجت عن توسع النظرية الاقتصادية وشمولها ودراسة جميع الموارد والقوى البشرية والطبيعية، وتطبيق النظرية الإسلامية عليها، فإذا وجد تعامل جديد اقتضته ظروف العصر وليس له نظير في التراث الاقتصادي الإسلامي، ولم يحل مانع شرعي دون اقتباسه، فإن المبادئ الشرعية ذات مرونة فائقة وقابلية عظيمة»^(٢).

(١) د. محمد شوقي الفنجري - ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية - ص ٢٠ ومابعدها.

(٢) د. محمود بابلي - الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية ص (١٣١-١٣٦).

هذه المرونة «الثبات والتطور» من شأنها أن تجعل النظام الاقتصادي الإسلامي مؤشراً فيما حوله، متأثراً به، فيما لا يتعارض مع أصل من أصوله..

وإذا تبين هذا، فإنه لا يمكن أن يحصل تناقض بين الثبات والتطور^(١).

الخاصية الثانية:

خاصية الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة:

ينفرد الإسلام بنظامه الاقتصادي المتميز، وذلك لجمعه بين المصلحتين العامة والخاصة، أي اعتبار مصلحة الفرد مع عدم إهدار مصلحة الجماعة، فهو دين الوسطية والاعتدال.. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والاعتدال سمة الإسلام وأسلوبه في كافة نواحي الحياة، فقوام النظام الاقتصادي هو حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.. يقول عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه الحاكم في المستدرک.

يقول الدكتور حمد الجنيدل: «حين قرّر الإسلام حرية الأفراد في ممارسة النشاط وضع له قيوداً على هذا النشاط الاقتصادي فلا يجوز له انتاج الخمور أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو حبس المال عن الانتاج أو تبذيره أو انفاقه في غير موضعه، ففي هذا التقييد مراعاة لمصلحة الجماعة في حفظ المال وعدم العبث به..

ويضيف قائلاً «... مع أن الإسلام فتح له طريقاً لتحقيق المصلحة الخاصة في المجالات الشرعية التي يجد فيها وسائل الاستثمار

(١) د. أسعد محمد الراس - مقومات النظام الاقتصادي الإسلامي - مركز البحوث كلية العلوم الادارية -

جامعة الملك سعود - ١٤٠٧هـ ص (١١٩-١٢٠).

وذلك بجميع الطرق الشرعية المباحة للكسب كالبيع والشراء والعمل

في الصناعة والزراعة والمهن المختلفة...»^(١) www.alukah.net

ويقول الدكتور سعيد مرطان: «الإسلام يضمن مصلحة الفرد والمجتمع. فلا مصلحة للفرد تهدر باسم مصلحة المجتمع ولا مصلحة للمجتمع تهدر باسم مصلحة الفرد؛ ومن حق ولي الأمر التدخل في حالة حدوث انحراف أو تعد يؤدي إلى إلحاق الضرر بالطرف الآخر أو تعريض مصلحته للخطر... ويضيف أيضاً فيقول:

«وكقاعدة عامة يقر الإسلام مبدأ «تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام». وحفاظاً على هذا التوازن وزيادة في التكافل والعدل بين أفراد المجتمع ظهرت إلى الوجود بعض المؤسسات الإسلامية الهامة مثل: نظام الحسبة لمراقبة النشاط الاقتصادي، بصفة عامة، والتعامل في الأسواق بصفة خاصة، ونظام الزكاة لاقتطاع جزء محدد من أموال الأغنياء وانفاقها على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ومؤسسة بيت المال لتكون خزانة للدولة تشرف على إيراداتها ونفقاتها وغيرها من المؤسسات...»^(٢).

هذا بالنسبة للنظام الاقتصادي الإسلامي، أما النظم الاقتصادية الأخرى فإنها تتفاوت في موقفها من هاتين المصلحتين.

فالنظام الاقتصادي الرأسمالي: ينظر إلى الفرد على أنه محور الوجود والغاية منه، ومن ثم فهو يهتم بمصلحته الشخصية ويقدمها على مصلحة الجماعة كلها، وهذا هو سر منحه الحق الكامل والمطلق الجديد

(١) د. حمد الجندل - مرجع سابق - ج١/ ٣٧..

(٢) د. سعيد سعد مرطان - مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام - مؤسسة الرسالة - بيروت -

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ص ٥٨..

في الملكية والحرية الاقتصادية، ويعلل النظام الرأسمالي موقفه هذا من الفرد بأنه لا يوجد ثمة تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وأن الأفراد حين يعملون على تحقيق مصالحهم الخاصة فإنهم في الوقت نفسه يحققون مصلحة الجماعة، ولكن هذا التقديم لمصلحة الفرد آثار سيئة أهمها : كثرة الأزمات الاقتصادية، وانتشار البطالة والتفاوت الكبير بين الدخول وظهور الاحتكارات^(١).

أما النظام الاقتصادي الاشتراكي، فإنه على العكس من النظام الرأسمالي يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، بل كثيراً ما يضحى تماماً بمصلحة الفرد في سبيل مصلحة الجماعة، وبناءً على ذلك استبدل الملكية الفردية لأدوات الانتاج ونظام الحرية الفردية استبدل بهما نظام الملكية العامة والحرية الاقتصادية العامة أي ملكية الجماعة وحريتها، وقد أدى هذا إلى مفاسد أهمها: مصادمة الفطرة الإنسانية لغريزة التملك، وإحباط الهمة والحافز: لدى الإنسان وانتشار الكسل بين الأفراد^(٢).

يتبين مما سبق، أن الإسلام في نظامه الاقتصادي له سياسته المتميزة التي لا تركز على الفرد فقط كشأن الاقتصاد الرأسمالي، ولا على المجتمع فقط كشأن الاقتصاد الاشتراكي، وإنما هذه السياسة تقوم على رعاية المصلحتين معاً، ومحاولة تحقيق التوازن بينهما.

وإذا كان هناك تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وتعذر تحقيق التوازن أو التوفيق بينهما، فإن الإسلام يقدم مصلحة

(١) للاستزادة يراجع د. خزعل البيرماني في كتابه التاريخ الاقتصادي ص ٣٠٢ وما بعدها نقلاً عن كتاب «النظام الاقتصادي في الإسلام» للدكتور أحمد العسال وصاحبه ص ٢٨.

(٢) للاستزادة يراجع: (١) د. أحمد العسال ود. فتحي عبد الكريم - مرجع سابق ص (٢٨ - ٣١).

(ب) د. حمد الجنيديل - مرجع سابق - ج ١ / ٣٧ - ٣٨.

(أ) نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن بيع الحاضر للبادي، تقديماً لمصلحة عامة هي مصلحة أهل الحضر ..

(ب) منع الرسول عليه الصلاة والسلام عن تلقي الركبان، تقديماً لمصلحة عامة، هي مصلحة أهل السوق على مصلحة خاصة.

(ج) النهي عن الاحتكار، تقديماً لمصلحة عامة هي توفير الأقوات اللازمة لمعاشها (الجماعة) على مصلحة خاصة (المحتكر)^(١) ..

ومن هنا يتضح أنه لا يقبل القول بتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة، إلا بالنظر لهاتين المصلحتين من زاوية غير شرعية^(٢).

(١) د. أحمد العسال د. فتحی عبدالکرم - مرجع سابق - ص ٣٢.

(٢) د. أسعد الرأس - مرجع سابق - ص (١١٨ - ١١٩) ..

الإسلام دين ونظام حياة جاء ليجمع في توازج، وتوازن دقيق بين السماء والأرض، بين الروح والمادة، بين مكة والمدينة، بين الآخرة والأولى؛ وبصورة أكثر مباشرة وتحديداً، بين شقي الشريعة، العبادات، والمعاملات، مشدداً على أن الأصل في الشق الثاني «الحل» أخذاً بالأسباب وإعماراً للأرض، في ظل ثوابت دافعة لهذا الإعمار، ومتغيرات تتشكل بفعل المكان والزمان، وتدور مع المصلحة «المعتبرة» شرعاً وجوداً وعدماً، وفي ظل علم وعمل، يرتفع إلى مرتبة العبادة بالمعنى الواسع.

ولقد لخص الأثر المروي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما هذه الصورة المتوازنة الفاعلة لخير الإنسان والبشرية جمعاء «بالعمل للدنيا» كأن الإنسان يعيش أبداً، و«بالعمل للآخرة» كأنه يموت غداً؛ وهذه الثنائية ليست ثنائية فصل وإنما ثنائية تكامل؛ فالروح والمادة ليسا – بالقطع – بديلين وإنما وفقاً لهذا النظام يشكلان عنصرين مترابطين متكاملين، يدعم أحدهما الآخر، ويقويه، دون افراط أو تفريط، أي دون اخلال باعتبارات التوازن بينهما^(١)..

يقول الشيخ محمد عبده : «لقد ظهر الإسلام لا روحياً مجرداً، ولا جسدياً جامداً، بل إنساناً وسطاً بين ذلك»^(٢).

(١) ينظر : (١) الإنسان أساس المنهج الإسلامي - د. عبدالحمد الغزالي - المصرف الإسلامي الدولي - القاهرة ١٤٠٨ هـ ص ١٢.

(ب) ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية - د. شوقي الفنجري - ص (٤٨-٥٨).

(٢) د. أحمد النجار - المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي - الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية القاهرة ١٤٠٠ ص ٥٣.

ويقول الإمام حسن البنا : - رحمه الله - « إن الإسلام وسط بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية^(١) . » أي أنه يجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل .

ويقول د. حمد الجندل في كتابه « مناهج الباحثين » : « يمتاز الاقتصاد الإسلامي بأنه اقتصاد روحي ومادي، فجميع تصرفات الإنسان المادية لا بد أن تتصف بمراقبة الله وابتغاء وجهه، فالمسلم حين يعامل الناس معاملة « اقتصادية، لا بد أن يتذكر حديث « العمل عبادة » (أخرجه مسلم) ..

ويضيف قائلاً « ... على أن المصالح المادية وإن كانت مطلوبة في الكتاب والسنة إلا أنها ليست مقصودة لذاتها، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات : ٣٧ - ٣٩] ^(٢) .

وهذا الدكتور : سعيد مرطان يحدثنا عن هذه الخصيصة فيقول : « في الإسلام، هناك مزاجية بين المادية والروحية لابرار نظام يقوم على التعاون والتراحم بين أفراد المجتمع؛ يبرز هذا التلاحم بين الجوانب المادية والروحية في جميع المعاملات والأنشطة الاقتصادية . ليس هذا فحسب، بل ونجده بارزاً في أركان الإسلام نفسها؛ فإلى جانب الإيمان بوحدانية الله والتصديق بالرسالة النبوية وإقامة الصلاة، نجد الزكاة المفروضة للفقراء في أموال الأغنياء يعجوانبها المادية والروحية، فهي إلى جانب كونها طهارة للنفس من الشح والبخل، وكونها عبادة، فهي أيضاً أداة للنمو الاقتصادي، والتكافل

(١) د. حسن العناني - خصائص إسلامية في الاقتصاد - الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية القاهرة دون تاريخ ص ١١٥ .

(٢) د. حمد الجندل - مرجع سابق - ج ١ / ٣٨ .

الاجتماعي. ومن هنا يتضح التناقض المواءمة بين الروح والمادة في السعي من أجل الدنيا والآخرة...»^(١).

أما الأنظمة الاقتصادية المعاصرة فتتفق في توجيه اهتمامها إلى النفع والتطور المادي دون أدنى اعتبار للقيم الروحية والخلقية.

فالنظام الرأسمالي يقوم على أساس «فصل الدين عن الاقتصاد» وأن العامل الاقتصادي هو المحرك الحقيقي والمؤثر السليم لتقدم البشرية وهذا يعكس دون شك، القيم غير الدينية في المجتمعات التي تنهج هذا الفكر، مثل المادية والأنانية والفردية.

أما الماركسية فلم تكتف بفصل الدين عن الحياة الاقتصادية، بل انكرت الأديان وحاربتهما على اعتبارها عائقاً للتقدم الاقتصادي.

يقول لينين: «كلما تحررنا من نفوذ الدين كلما ازدادنا اقتراباً من الواقع الاشتراكي، ولهذا يجب علينا أن نحرر عقولنا من خرافة الدين»^(٢).

ويقول ستالين: «لقد كنا في الماضي نحرص على عدم إعلان إلحادنا لأننا لم نكن أقوياء، أما الآن فإننا نعلن بصراحة أننا ملحدون، وأنا نرى في الأديان خطراً على الحضارة الإنسانية»^(٣).

وجاء في مجلة الشباب السوفيتية العدد الصادر ١٨ أكتوبر ١٩٤٧م: «لأنستطيع أن نوقف في الدين موقفاً محايداً، وإنما يتعين علينا أن ننشر الدعوة هذه، فالدين كما علمتنا المبادئ الشيوعية عمل هدام»^(٤).

وكما جاء في جريدة البرافدا السوفيتية العدد الصادر ٢٦ أبريل

(١) د. سعيد مرطان - مرجع سابق - ص (٥٤-٥٥).

(٢) (٣) (٤) فكري نعمان - مرجع سابق - ص ٣٨..

١٩٤٩م: «نحن نؤمن بثلاثة أشياء : ماركس، لينين، ستالين، ولا نؤمن بثلاثة أشياء: الله، والدين، والملكية الخاصة»^(١).

أين هذه الأنظمة الاقتصادية من النظام الاقتصادي الإسلامي، الذي يأمر الفرد بأن يتوجه إلى الله عز وجل في عمله ونشاطه الاقتصادي اليومي، وأن يراقب نفسه ويتذكر دائماً ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (رواه البخاري).

وبناء على ماتقدم، فإننا نرى أن المصالح الدنيوية لا يمكن أن تتعارض مع الحاجات الروحية، لأن المصلحة الشرعية لا يمكن أن تهدم أصلاً شرعياً، فهي لا تتعارض مع مصلحة أخرى.

أما من نظر للمصالح والمفاسد نظرة غير شرعية، كما هو نظر النظم الاقتصادية الوضعية، فإنه لاشك يرى أن بين المادة والروح تعارضاً وأنهما غير منسجمين مع بعضهما البعض^(٢).

(١) فكري نعمان - مرجع سابق - ص ٣٨.

(٢) د. أسعد الرأس - مرجع سابق - ص ١١٨-١١٩.

خاصية الوفرة

يقول د. عيسى عبده : « الاقتصاد الإسلامي يقرّر أن الأصل في الخلق هو الوفرة .. الوفرة المطلقة والوفرة النسبية ذلك أن تقدير العزيز الحكيم القاهر فوق العباد لما هم فيه من حاجة لا يمكن أن يجيئ مقصراً عما يلزم بل هو كان ويزيد .. وما الندرة النسبية إلا عرض يظهر ويختفي ويساعد الإنسان بغبائه وبجحوده على تعميقه وانتشاره وتكرار ظهوره. وبحسبنا هنا أن نورد آيتين للتذكّرة .. قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ١٠ ﴾ [فصلت : ٩ ، ١٠] ^(١).

المقصود بالوفرة : أن مافي الأرض من طيبة أو مورد جامد أو سائل ومافيه من طاقة، يتواجد بكثرة تزيد على الحاجة ..

هذا هو معنى الوفرة Abundance في الدراسات الاقتصادية ^(٢).

الأدلة على أن الأصل في الحياة الوفرة : يمكن الاستدلال على أن الأصل في الحياة، إنما هو وجود الوفرة وقدرة الأرض على تغطية الحاجات البشرية مهما بلغ تعدادها بعدة آيات منها :

١- قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا

(١) د. عيسى عبده - الاقتصاد الإسلامي - مدخل ومنهاج - دار الاعتصام - الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ص ٣٤.

(٢) د. عيسى عبده - الاقتصاد في القرآن والسنة - دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ - ص (٣٢-٣٣). NEW & EX

وَقَدَّرَ فِيهَا أَفْرَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ (١٠) ﴿ [فصلت: ١٠]

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) ﴿ [القصص: ٦٠].

٣- قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا

فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزُونٍ (١٩) ﴿ [الحجر: ١٩]

٤- قوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) ﴿ [هود: ٦]

٥- قوله تعالى ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ

اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴿ [إبراهيم: ٣٤] (١).

إضافة إلى الآيات: الآية ١٥ من سورة الملك، الآية ٢٧ من سورة الشورى الآية ٩٦ من سورة الأعراف، الآية ٦٠ من سورة العنكبوت، الآية ٢٢ من سورة الذاريات، الآية ٢٠ من سورة لقمان... وغير ذلك من الآيات..

إذا علم هذا، فإن قانون الوفرة كما في دراسة الاقتصاد الإسلامي يعارض الندرة التي يجعلها كتاب الاقتصاد السياسي محور دراستهم.. وهنا يتعين التركيز على التفرقة بين الوفرة والندرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الأصل أن الله تعالى، إنما خلق الأموال إعانة على عبادته لأنه إنما خلق الخلق جديداً لعبادته...» (٢).

(١) د. عيسى عبده - الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج - ص (٣٤-٣٥).

(٢) ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - دار الأرقم - الكويت ١٤٠٦هـ - ص ٦٣

وهذا الفهم، يؤدي إلى استحالة تحقق الندرة مادامت الحياة قائمة، وهناك بشر على ظهر الأرض، وهو فهم عميق... ذلك أن الحاجات الأساسية محدودة والأموال والجهود التي يسميها الرأسماليون السلع والخدمات الموجودة في العالم كافية لإشباع الحاجات الأساسية - للأفراد المستهلكين إشباعاً كلياً..

هذا وقد ظهرت كتب حديثة تؤكد على إمكانية تحقيق منتجات أكبر وأضخم بنفس الموارد المتاحة، طالما توفر قدر من الترشيح وحسن الاستخدام، ومن بين تلك الدراسات التقرير الرابع إلى نادي روما، الذي قدمه لفيف من العلماء تحت عنوان «الخروج من عصر التبذير»^(١).

كما ظهرت كتابات وبحوث تفيد أن حاجات الإنسان الأساسية والتي يحتاجها الإنسان فعلاً يمكن تضييقها، بل ويمكن حصرها، وقد جرت محاولات متعددة فردية وجماعية لحصر تلك الحاجات وتوصيفها^(٢).

وصدر حديثاً كتاب لكاتين غربيين هما : فرانسيس مورلايه وجوزيف كوليتز وهما من الكتاب المشهورين بالاهتمام بهذا الموضوع. هذا الكتاب يحمل عنواناً مثيراً كأشد ما تكون الإثارة هو «صناعة الجوع وخرافة الندرة»^(٣).

وأول رسالة يحملها هذا العنوان أن الجوع في العالم هو صناعة، فهو عملية بشرية صناعية وليس عملية طبيعية محتومة، كما يحمل هذا العنوان، أن مشكلة الندرة التي سيطرت على رجال

(١) ينظر : دنييس غابور وأميرتوكولامبو - «الخروج من عصر التبذير : التقرير الرابع إلى نادي روما» ترجمة : عيسى عصفور - منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - ١٩٨٢م.

(٢) ينظر : د. اسماعيل صبري عبدالله - «نحو نظام اقتصادي عالمي جديد» ص ٢١٥.

(٣) وقد قامت بنشره مترجماً إلى العربية عالم المعرفة بالكويت رقم ٦٤ أبريل ١٩٨٣م.

الاقتصاد هي في الحقيقة خرافة وليست حقيقة.. هذا الكتاب القيم يؤكد بالأمثلة والبيانات الواقعية أن مشكلة ندرة الموارد عن حاجات الإنسان هي مشكلة اصططنعها الإنسان واكتوى بنارها.. جاء في الكتاب « وأثناء دراستنا وقراءتنا ورحلاتنا وأحاديثنا، وجدنا مفاهيم الندرة والذنب والخوف تقوم على أساس الخرافات»^(١). وفي موضع آخر جاء قولهما: «إن تشخيص الجوع بأنه نتيجة لندرة الغذاء والأرض هو لوم للطبيعة على مشكلات من صنع البشر..»^(٢).

بعد هذا أقول، إن الندرة ليست أصلاً من أصول الخلق، أو سنة كونية، وإنما هي مجرد ظاهرة ترجع إلى أسباب يدركها كل اقتصادي بقليل من التأمل، وأهم العوامل التي تؤدي إلى وجود هذه الظاهرة وتعميقها أسباب أربعة..

أسباب الندرة؛^(٣)

إن الندرة مجرد ظاهرة تكاد تسود معظم الظواهر الاقتصادية، وتشكل المتاعب للناس. فنحن لاننكر الندرة، بل ننكر أن تكون أصلاً من أصول الخلق فحسب؛ وأسبابها تقطع بأنها ظاهرة يشترك في صنعها بحكم قصور قدرته، وبحكم سوء تصرفه، ولأهمية هذه التفرقة بين الوفرة والندرة نورد فيما يلي أسباب الندرة، ومنها:

(أ) قصور العقل البشري، عجز الإنسان عن الإفادة بما في الأرض من طيبة ومن خدمة.. ذلك أن الإنسان وإن تجمع في تنظيم

(١) ص ١٤ من نفس الكتاب.

(٢) ص ١٨ من نفس الكتاب،

(٣) ينظر: (أ) الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج - د. عيسى عبده - ص (٣٣-٣٤).

(ب) حكم الإسلام في الرأسمالية - د. محمود الخالدي - مكتبة الرسالة الحديثة عمان - الطبعة

الأولى ١٤٠٦هـ - ص (٩١-٩٦).

ناجح يظل محدود القدرة فهو لا يستطيع مثلاً أن يفيد بما في الأرض من شجر وما فيها من ماء، ومع ذلك يقل المعروض من الشجر ومن الماء، بسبب عجز الإنسان عن الإحاطة، وعن التنظيم إلى المستويات الكافية لاستيعاب ما خلقه الله للجنس البشري...

(ب) كسل الإنسان وغروره، ففي هذا المخلوق الآدمي قدر من الغرور وهو عادة يبالغ في تقدير ذاته وقيّمته وكذلك يميل إلى التباطؤ والدعة بقصد التقليل من تضحياته الخاصة وشقائه في سبيل كسب المعاش.. وبعبارة موجزة إذا استطاع أن يقعد عن طلب الرزق نهائياً وأن ينعم في الوقت ذاته بكل ما يرغب فيه فإنه لا يتردد.. ولعل معظم الناس على هذه الحال إلا من فهم معنى الأمانة وتقوى الله وقليل ما هم.. إذن يقعد الناس عن طلب الرزق طلباً للراحة ويتنافسون في الحصول على المزايا ومن ثم تكون الندرة..

(ج) يتلف الناس كثيراً مما ينتجون بتوجيهه إلى ما لا يسهم في الرفاهة الاقتصادية كإنشاء أجهزة الدمار وأدوات التخريب كالأسلحة بأنواعها وهي مشهورة.. وبما ينفقون في مشروعات غيرها أولى بالتقديم كغزو الفضاء، وبما بثيرون من حروب باغية..، هذا كله إتلاف لجانب مما يتم إنتاجه رغم قلته النسبية..

(د) وبعد هذا كله، يبقى قدر من السلع والخدمات يتظالم الناس في قسمتها، فنجد التزُّيد في ناحية إلى حد الإتلاف ونجد الحرمان في نواح أخرى إلى حد الهلاك جوعاً.. ولقد بلغت بعلماء الاقتصاد المرأة حداً مذهلاً عندما نراهم يبرِّزون إتلاف المحاصيل بقصد المحافظة على مستويات الأسعار وضمان أكبر ربح احتكاري يمكن الوصول إليه!...

- ١٦٩ - مفاهيم يجب أن تُصحح أ. بغداد سيدي محمد أمين
- ١٧٠ - السنة النبوية المطهرة الشيخ محمد علي الصابوني
- ١٧١ - نحو مشروع حضاري للإسلام د. أحمد القديدي
- ١٧٢ - الإعلام الإسلامي رسالة وهدف أ. سمير بن جميل راضي
- ١٧٣ - الشريعة والتشريع أ. فاطمة السيد علي سبّاك
- ١٧٤ - ترجمات معاني القرآن الكريم د. عبد الله عباس الندوي